مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 2 خ / 16 /03/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

عرفانية علم السيمياء

Knowledge of Simiyya

بن صافي سعيد Bensafi Said bensafisaidou@yahoo.com	فلسفة	*مختبر الأبعاد القيمية* للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر-كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، الجزائر.
أد. رزقي بن عومر Rezki Benoumeur Ben.rezki@yahoo.fr	فلسفة	*مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر-كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، الجزائر.*

DOI : 10.46315/1714-010-002-007

الإرسال: 2020/06/09 **القبول**: 2020/11/08 **النشر**: 2021/03/16

ملخص:

الرمز وسيلة تعبير عن الحقائق الثابتة وإيصالها، ويتجلّى ذلك في علم الحروف والأعداد، الّتي هي الرّابطة بين التّجليات الإلهيّة في مظهريها الكيفي، والكمّي عبر مراتب الوجود، والكاشف عن أسرار العلوم الإلهيّة، والمفسّر للنّشأة الكونية واستمراريتها وحركيتها. وهو من علوم الولاية الكبرى عبر مدارج السّلوك العرفاني. وله نتائجه الموضوعية عبر ما يسمّى بعلم "الأوفاق" كدرجة وُسطى تكشف عن علاقة الحرف بِالعدد. والتّراكيب الوجودية والإنسانية، والقرآنية، مؤسّسة على أسرار علم الحروف والأعداد (علم السّيمياء) كما قال محي الدين بن عربي.

الكلمات المفتاحية: الرّمز، الحقائق الثّابتة، التصوف، الأعداد، الحروف، الكم، الكيف.

Abstract: (English)

The symbol is a means of expressing and communicating fixed facts. And is reflected in the science of letters and numbers that are the link between the divine manifestations in the qualitative and quantitative appearance, across the rank of existence, and the revelation of the secrets of the divine sciences. Besides to the interpreter of the cosmic growth, its continuity and movement .So it is one of the great state sciences through the extension of the mystical behavior, and has its objective results through the so-called science of concordance listed in the middle reveals the relationship of the character to number. The existential, human and Qur'anic structures based on the mysteries of letters and numbers. (Theurgy science: Simiyya) as cited by Muḥyi al-Din Ibn al-'Arabi

Keywords: symbol, fixed facts, Mysticism, letters, numbers, quantity, Quality.

***-مقدمة :**

الرّمز أو الرّمزية كشكل من أشكال التّعبير عن الحقائق، والرّؤى، والتّصورات، أَوْ كوسيلة لاستكناه المجهول، ومعرفة حقيقة الأشياء، والموجودات، تجلّت هيمنتها على شتى حقول المعرفة العلميّة والإنسانيّة. فنجد التّرميز في علم الرّياضيات للمفاهيم المجرّدة، والعلوم الإنسانيّة

بالأسطورة، والرّمز كالأدب الّذي عرف فيه مذهب الرمزيّة، والتأويلية في الفلسفة كمجال للبحث العقلي الّذي يستخدم مصطلحات وإشارات مُحمّلة بِمعاني ميتافيزيقية.

إلاّ أنّ الرّمزية في العلوم الّتي عرفتها العقلية الحديثة، كانت مُجرّد وسيلة للكشف عن الخلفية الثّقافية، والنّفسيّة، والاجتماعية، الّتي شكّلت بُنية النّصّ الدّيني، أو الفلسفي، أو الأدبي.

وهذا ما أوقعها في إسقاطات مُجازفةً بِالحقيقة حين تُحاول حصرها في مجالٍ مُعيّنٍ، أو ميدانٍ معرفيٍّ مُحدّدٍ، كما هو الحال في النّزعة التّأويلية للنّصوص الدّينية، سواءً الكتب المقدّسة أو ما كُتب في مجال اللاهوت، وهذا نوعٌ من الانحراف عن مسارها الحقيقي. لأنّ الحقيقة لا تنحصر في الانكشاف العقلي البحت، أو المحاولة التّلفيقية بيْن الرّمز والنّظرة المسبقة للأشياء، وهذا هو أحد مخارم العقلية الحديثة في النّظر إلى الرّمز بنظرة تفصله عن أصوله ومبادئه العليا.

فما تتّسم به النّظرة الحديثة للرمز كوسيلة معرفية، وشكلٌ من أشكال التعبير عن الحقائق الغيبية والميتافيزيقية، هي النّظرة السّطحية الّتي تقيم خصومة بين ما هو ديني وما هو علمي وعقلي، مع أنّ لكلّ مجالُ اختصاصه.

وهذا ما سنحاول الكشف عن بعض جوانبه، وهذا من خلال إشباع فكرة أهمّية الرّمز في تأسيس المعرفة وتجلّياتها بِنظرة كُلّية تجمعُ بين ما هو كمّي وما هو كيفي. أيْ: عالم الحسّ وعالم الغيب. ومُستويات هذا العلم وتطبيقاته وتجلّياته عبر المعرفة الذّوقيّة والتّأهيل الرّوحي. والحقل المعرفي لهذه الورقة البحثيّة هو العرفان أو التّصوف، وانتهجنا المنهج التحليلي في إيراد المتون مِن مظانها العرفانية.

1-<u>مبررات الرّمزية</u>:

قبل الحديث عن علم السّيمياء وأهمّيته في النّسق المعرفي الصّوفي، وأبعاده وَرُموزه المتفجّرة بِشتى الدّلالات المعرفية والميتافيزيقية، نُشير إلى مُبررات وُجود الرّمز. وارتباط علم الحروف بِالتّجليات الإلهيّة عبر حضرة الأسماء الصّفاتية والأفعالية في عالم الإمكان والاستحالة المشتمل على الكون والإنسان.

فَمُبرّرات وُجود الرّمز يعود إلى طبيعة التّجربة الذّوقيّة المتعالية المتّسمة بِالذّاتيّة، وهذا حسب القوابل والاستعدادات الخاصّة بِالسّالك. وهذا ما يُفسّر لنا كثرة الطّرق والتّعابير والمصطلحات عن الحقائق والمعارف الإلهيّة.

أمّا الأحكام العقليّة فَيُمكن صياغتها صياغةً واضحةً، وَإنْ حاول بعض العقلانيين "ككانط" الولوج في الغموض، فهي مُحاولة استشفاف العالم الماورائي. كما أنّ فكرة المضاهاة أو التّناسب بين مراتب الوجود والموجودات، وحتّى اللّغة وَعُلومها وَحُروفها وكمثال عن فكرة المضاهاة نستطيع القول أنّها وحدة سارية في الوجود كلّه.

وكتاب "نحو القلوب" للقشيري (376هـ-465هـ) يُقيم مُقاربةً عجيبةً بين نحوِ اللّغة كعلمٍ ظاهرٍ ونحوِ القلوب كسلوك إلى الله عزّ وجلّ. وكأنّ هناك نحوٌ ظاهرٌ يُجسّد النّحو الباطنيّ الّذي هو القصد. وحتّى علم القراءة عند الشيخ الأكبر وخواص الحروف له علاقة من حيث النّطق بِالحضرة الإلهيّة، ونشأة الموجودات. أمّا عن علم السّيمياء كمعرفةٍ مُتعاليةٍ مُرتبطةٍ بِنشأة الوجود بدء بالعالم الماورائي وانتهاء إلى العالم المحسوس، وهذا عبر ارتباط الحروف بمراتب الوجود وحتّى بِأعضاء الإنسان -الّتي تُخَلّف في حركتها الحروف المعنوية، كما يُصنّفها أهل العرفان- والسّلوك الرّوحي وحتّى مملكة الولاية مُؤسسة على نظامٍ عدديٍّ وخاضعة لخصائص الحروف. فَالحديث عن الحرف حديثٌ عن العدد في نفس الآن وفق ترتيب أبجد هوز..... الّذي هو ترتيب تمّ معرفته بِالكشف كمعرفةٍ حدسيّةٍ متعالية عن الفكر. والتّناسب الموجود بين الحرف وعدده لا يمكن إدراكه بِالعقل كما يقول أهل هذا العلم.

2- **<u>الرّمز معرفة متعالية</u>**:

الرّمز هو نقطة انطلاقٍ للوصول إلى المعرفة الحقّة، الّتي تتجاوز الأشكال والمظاهر، كما أنّه وسيلة تعبيرٍ عن المعارف والحقائق المترابطة، والّتي تُشكّل في نهاية المطافِ الوحدة والانسجام الساريين في الوجود كله بأبعاده المحسوسة، والميتافيزيقية.

الوجود والعدم ليسا بشيءٍ زائدٍ على الموجود والمعدوم، لكن هو نفس الموجود والمعدوم، لكن الوهم يتخيّل أنّ الوجود وَالعدم صفتان راجعتان إلى الموجود والمعدوم. والوهم يتخيّلهما كالبيت والموجود والمعدوم قد دخلا فيه. (ابن عربي، 2005، 140).

فَالرّمزية الّتي كَثُر الحديث عنها في الدّراسات الفلسفيّة والأدبيّة، وكأنّها افتعالٌ معرفيٌّ عند الصّوفية، ما هي في الحقيقة إلاّ تعبير عن قانون التّناسب، وهذا ما تمّ إغفاله عند الحديث عن التّأويلية الصّوفيّة، "فبمقتضى هذا التناسب يبدو كل شيء صادرا جوهريا عن مبدأ ميتافيزيقي يستمدّ منه كلّ حقيقته (ريني،ج، 2016، 54).

فالرمزية ما هي إلاّ تعبير عن الحقائق الثّابتة، والمبادئ الّتي صدرت عنها الأشياء وفق تراتبية وُجودية: من الأسفل إلى الأعلى، وُصولاً إلى الوحدة المبدئيّة. أَوْ هي تعبيرُ الكَثْرة عن الوحدة بِالعبارة الأكبرية "ولهذا فإنّ قوانين مجال سفلي ما، يُمكن أنْ تُؤخذ كرموز لحقائق من مُستوى علوي حيث توجد علّتها العميقة، الّتي هي في نفس الوقت مبدأها وغايتها" (ريني،ج، 2016، 54).

وهذا يعني أنّ الرّمزيّة هي التّعبير عن غاية الأشياء ومبادئها الحقيقية. فَالقوانين الفيزيائيّة ما هي إلاّ مظهر للمبادئ السّامية أو الميتافيزيقية الّتي بِدُونها تنعدم "فَالرمز هو الدّلالة الميتافيزيقية، أو هو المعنى المبدئي وكلّ ما عداه ليس سوى تطبيقات عارضة، ثانوية بمقدار متفاوت الزيادة أو النقص" (ريني،ج، 2016، 65).

ففائدة الرّمز ورمزيته هي ربطُ النّسبيّ بِالمطلق، والحسّيّ بِالميتافيزيقي. ولا نعني بِالرمزية المصطنعة "الرّمزية الحقيقية، بعيدة أن تكون نتيجة اختراع يصطنعه الإنسان، هي موجودة في الطّبيعة نفسها، أو بِعبارة أحسن الطّبيعة نفسها ليست سوى رمزًا للحقائق المفارقة المتعالية" (ريني،ج، 2016، 79).

وهذا ما يُفسّر لنا لُغة "ابن عربي" ويقودنا إلى التّأويل الصّحيح للأشياء. كما أنّ الرّمز يمتلك وظيفةَ توصيلِ الحقائقِ، والكشف عن سرّها شريطةَ وُجود الاستعداد لمثل هذا الانكشاف المعرفي، وهذا ما يُعبرّ عنه بالتربية الروحية العرفانية "الرّمز يستر الحقيقة ويُجَلِّيها لِمَن له الاستعداد الروحي وهي تصلح لجميع النّاس" (ريني،ج، 2016، 214).

فَالرّمزية تستند على المعرفة الحدسيّة المتعالية عن العقل المفكّر والحس "وهو ما يجعلها أحسن ملاءمة من الكلام لتُوظّف كَنُقطة ارتكاز للحدس العرفاني الّذي هو أعلى من العقل والّذي يجب الحذر من خلطه مع الحدس السّفلي الّذي يلجأ إليه العديد من الفلاسفة المعاصرين" (ريني،ج، 2016، 14).

فوظيفة الرمزية هي وسيلة للتعليم الروحاني "الرّمزية هي الوسيلة المثلى لتعليم الحقائق ذات الطراز السّامي الدّينية منها والميتافيزيقية".

هذا الرّمز على مستوى الكائنات والقوانين التي تحكمها والتي هي مرئية بِالنّسبة لنا. ويدخل الرّمز في الكلمة والحرف والعدد واللّغة بِشكل عام. وقد خصّص لها الشيخ الأكبر الباب: 26 من الفتوحات المكّية حيث تحدّث عن وظيفتها بعد تعريفها قائلا: "الرّمز واللّغز هو الكلام الّذي يُعطي ظاهره ما لم يقصده قائله" (ابن العربي، م، 1994،ج1، 427)

فَالرّمز واللّغز ليسا مقصودان لِذاتهما وإنّما القصد منها الإفهامُ، وتوصيلُ الحقائق "الرّموز والألغاز ليست مرادة لأنفسها وإنّما مرادة لما رَمزت له ولما أُلغز فيها، ومواضعها في القرآن آيات الاعتبار كلّها والتّنبيه على ذلك **قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"** (سورة العنكبوت، الآية: 43).

تُعدُّ الرّمزية علمٌ من العلوم الّتي تكشف الأسرار الإلهيّة، ولهذا العلم رجاله "وأخصّ منزل الرّموز تعلق العلم بِخواص الأعداد والأسماء وهي الكلمات والحروف وفيه علم السيمياء" (ابن العربي، م، 1994، ج1، 436).

3- <u>أهمية علم السيمياء</u>:

من الصّعب الحديث عن علم الحروف والأعداد، وذلك لِصُعوبة هذا العلم وما يَحمله من مفاهيم وحقائق غريبة عن العقليّة الحديثة، الّتي ساهمت في صياغتها النّظريات الماديّة والفكريّة

المُنَاهِضَةِ لكلّ ما هو ميتافيزيقيٍ وإلهيٍ، والّتي تحصر الحقيقة في المجال الفيزيائي، وما تُثبته التّجربة وما يتقبّله العقل المفكّر .

كما أنّ هذا العلم مُتشعّب الجوانب، وذلك لارتباطه الوثيق بِالحساب وعلم الفلك الرّوحاني الّذي نستطيع القول أنّه اندثر وانطمس بذهاب أهله، وسيطرة النّزعة العلماوية الّتي عرفتها الحضارة الغربية. "كما أنّ هناك خلطًا غير مقصودٍ في الغالب بين علم الحروف –في السّيميائية الصّوفيّة– وعلم السّحر والطلسمات بسبب علاقة الحرف بِالأسماء والأفلاك والسّاعات" (بن بريكة، م، 2006، 146).

وأهم مُبرّرٍ لِصعوبة الحديث عن هذا العلم الّذي ظلّ حبيس الأوراق، وَلِشساعته يقول ابن العربي: "وكلّ حرف مفتاح لمحيط لا ساحل له من أسرار العلوم" (مفتاح، ع، 2016، 32) عند حديثه عن المعراج عبر الحروف وما يستفيده السّالك من عُلومٍ، حتّى أنّ هذه الحروف تُعدُّ أمّةً مُخاطبةً "اعلم أنّ الحروف أمّة من الأمم مُخاطبون، مُكلّفون، وفيهم رُسلٌ من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلاّ أهل الكشف من طريقنا. وعالم الحروف أفصح العالم لسانًا وأوضحه بياناً" (ابن عربي، م، 1994، ج1، 436).

وهذا العلم يُنكره أصحاب النّزعة العقليّة "وإنكار العقلانيين على المعارف وعلى عُلوم أسرار الحروف والأعداد وتصريفاتها الكونيّة مُناقض لعقلانيتهم، لأنّ العقلانية العاقلة تعتمد على نتائج التجربة الحسّية الملموسة، ولتلك المعارف والتّصرّفات نتائج حسّية مشهورة..... والعقلاني الكبير ابن خلدون خصّص في مُقدمته لهذه العلوم الّتي أمست مفقودة وغريبة في عصرنا" (مفتاح، ع، 2016، 14). وَيُعدُّ هذا اعتراف لابن خلدون بِالنتائج الموضوعيّة المحسوسة لهذا العلم.

وتكمن أهمّية هذا العلم حسب أهل العرفان فيما تحمله الحروف وأعدادها من المعاني، والرّموز، والدّلالات العرفانية الّتي تُعبّر عن الانسجام الكلي للوحدة الإلهية.

فالعالَم –الّذي هو ما سوى الله– عبارةٌ عن كلمات الله الّتي تتركّب من الحروف، التي لها مظهرين: مظهرٌ كيفيٌّ يتعلّق بِمعانيها، ومظهرٌ كمّيٌّ يتعلق بالأعداد المرتبطة بهذه الحروف وفق ترتيب أبجد هوز....

فنشأة الكون بِمعناه الواسع ما هو إلاّ انفعال عن الكلمة الإلهية «كُن» الّتي هي مبدأ النشأة والتّكوين "وهنا مُقاربة تفرض نفسها مع الدور الذي تقوم به أيضا الحروف في المذهب المتعلق بِنشأة الكون كما هو في سفر ليتسراه العبري Sepher Lestrah " (ريني، ج، 2013، 56).

وجاء في إنجيل يوحنا "في البدء كانت الكلمة، والكلمة اللوغوس في الآن الواحد فكرة وقول والكلمة الإلهيّة من حيث هي إنّما هي الإرادة المتوجهة على حضرة الممكنات" (ريني، ج، 2013، 16) .

في البداية كانت عبارة عن كلمة التّكوين «كُن» الّتي هي عبارة عن البسملة في الديانة الإسلامية والّتي توجّهت على إخراج الممكنات من الوجود العِلمي إلى الوجود العيني أي "المتوجهة على الأعيان الثّابتة لتظهر الممكنات في عوالم الحكمة والقيود " (مفتاح، ع، 2016،27).

والأعيان الثّابتة هي ماهيات الأشياء وأعيانها في العلم الإلهي الأزلي، وتسمى بالحروف العاليات لأنّ الحروف الّتي بين أيدينا ما هي إلاّ الصّورة الدّنيا لتلك الحروف التي تُركب الوجود "الحروف المركّبة لِكلمات الوجود هي المعلومات الإلهية أي الأعيان الثابتة -الحروف العاليات- التي عين الكائنات تتنزّل بِالنَّفَس الرّحماني الّذي هو "العَمَاءُ الّذي كان فيه ربّنا قبل الخلق واختلفت عبارات العارفين في تعريف العماء ومن هذه العبارات الحقّ المخلوق به عند ابن برجان، مرتبة الوحدة أو حقيقة الحقائق عند الجيلي. والعماء هو جوهر العالم كلّه. فَالعالم ما ظهر إلاّ في خيال فهو مُتخيّل لنفسه، فَالعماء حسب الشّيخ الأكبر هو الخيال المطلق وذلك لاحتوائه على كلّ الصّور، وهو أوّل كينونة وأينية للحقّ، وأوّل مظهر إلهي ظهر، ومنه ظهر كلّ ما سوى الله قابلاً للحق والخلق" (مفتاح، ع، 2018، 51). والّتي ظهرت من الحضرة العلمية إلى الحضرة الكينونية أو ما يسميه ريني جينو "من حضرة الثبوت العلم الإلهي إلى مختلف مستويات الظهور العيني" (مفتاح، ع، 2016، 229).

وقد عبّر عن هذه الفكرة ريني جينو بقوله "وحروف هذا الكتاب مُسطرة مبدئيًا في نفس الآن بلا انقسام بِالقلم الإلهي، هذه الحروف العاليات هي الماهيات الأزليّة، أو الأعيان الثّابتة في العلم الإلهي وكلّ حرف هو في نفس الوقت عدد" (ريني، ج، 2013، 56). وهنا نرى توافق هذا التّفكير مع المذهب الفيثاغوري الّذي يرى أنّ الكون عبارة عن عدد ونغم.

وهنا يُمكن الحديث عن البعد الميتافيزيقي للأشياء وظهورها، لأنّ المظهر الحسي ما هو إلاّ صُورة دُنيا لمبدأ ميتافيزيقي مُتعال عن الأشياء الحسّية، وهنا تكمن أهمّية هذا العلم في إعطاء التّفسير الغيبي لظهور الأشياء في العالم الحسي.

والمظهران الكيفي والكمّي للحروف لهما ارتباط بِالأسماء الإلهيّة التي هي تجليات للذات الإلهية "ويمكن القول أنّ معاني الكلمات وخصائص الحروف المركّبة لها هي المظهر الكيفي لتلك التّجلّيات، وأنّ القيم العدديّة الموافقة لها هي المظهر الكمّي لها، فأمّا المظهر الكيفي فيستمدّ مدده من نُور الاسم « المدبّر» وأمّا المظهر الكمّي فيستمدّ مادته من اسمه تعالى «المفصل»" (مفتاح، ع، 2016، 27).

فالعالم ما هو إلاّ تفصيل لما احتوته دواة العلم الإلهي المعبر عنها بالأعيان الثابتة، كما أنّ هناك وحدة سارية في الوجود كلّه والمعبرّ عنها بِالتجليات الإلهية، عبر مظهري الكيف والكم أي: الحرف وما يُقابله من عدد "أمّا صُور التّراكيب الرّابطة بين كل هذه التّجلّيات –الإلهية– والمُؤلّفة

بينها، فلها مظهران: مظهرٌ كيفيٌّ يكمن في الصّورة الرّقمية اللّفظية لأحرف وكلمات الكتاب الحكيم، ومظهرٌ كمّيٌّ يكمن في قيمتها العددية" (مفتاح، ع، 2016، 27).

وهنا نلحظ علاقة وثيقة بين ما هو كيفي وما هو كمي، وكلاهما وجهان لِصورة واحدة أي مظهران للتجليات الإلهيّة عبر مراتب الوجود والتي تشمل "عالم 01 الملكوت الأعلى (الأرواح العالون)، 02 اللوح المحفوظ، 03 العرش وحملته (الهباء، الكرسي، عالم الرفرف، فلك البروج فلك الكواكب الثابتة)، 04 عالم الاستحالة 05، عالم الدنيا (السموات السبع وملائكتها وكواكبها وروحانياتها، كرة الأثير الهواء الماء التراب وأعلاها عالم الإنسان"(الجيلي، ع، 1999، 30).

ويمكن حصر أهمّية هذا العلم في إعطاء التّفسير الغيبيّ والميتافيزيقيّ للوجود وحركته واستمراريةِ الأشياء، ومعرفتها عبر مدارج السّلوك العرفاني "فَعلمُ الحروف هو ميزانُ حقائق الوجود ومفاتيح المعارف الإلهيّة والكونيّة، ومدارج السّلوك، والرّوابط بين مبادئ الظّهور وأصول التّكوين، وتناسبها مع الحروف والكلمات وأعدادها والأفلاك والعناصر" (مفتاح، ع2016 ، 29).

وكأنّ الجامع بين شتى العلوم هو الرّياضيات وما تحمله من رمزيّة عرفانيّة، إذ هي من شُروط تحصيل الحكمة والمعرفة "إنّ مبحث الحرف هو أسّ المعرفة الصّوفية عموما والسيميائية الصوفية خصوصا... وهو موصولٌ بِالحساب من جهة، وبَالِفلك الروحاني من جهة أخرى. صلته بِالحساب وهو مُغاير تمام المغايرة لعلوم السحر والطلسمات" (خوالدية، أ، 2014، 45).

كما أنّ علم الحروف من عُلوم القطب الذي هو خليفة الله ومحل نظره في الأرض "ولا يتمكّن لهذا الخليفة المشعور به، وغير المشعور به، أنْ يقوم بِالخلافة إلاّ بعد أن يحص معاني حروف أوائل السّور، فإنْ أوقفه الله على حقائقها، ومعانيها تعيّنت له الخلافة، وكان أهلا للنيابة" (مفتاح، ع، 2016، 350).

وتفسيرُ معاني الحروف المقطّعة تُعدُّ من مُتشابه القرآن الّذي لا يعلمه إلاّ الله حسب عُلماء التّفسير الظّاهري من غير أهل العرفان. وهذا صحيحٌ من جهة تعذّر إدراكها عقلاً وحسب التّفسير اللّغوي القاصر، أمّا معرفة معانيها كشفًا أو إلهامًا فيدخل تحت دائرة الإمكان، فليست من الغيب المطلق.

إذ ليس كلّ ما لا يُدرك عقلاً يستحيل إدراكه بغير هذه الأداة. كما أنّ أهمّية هذا العلم تُشيد بأهمية وقداسة الأبجدية العربية الّتي نزل بها القرآن "وأنّ للحروف من رمزيّة دقيقة ما هو في نظرنا إلا امتداد لأهمية الأبجدية العربية التي بها أُنزل القرآن، فهي وعاءُ الوعيِ ولا يُمكن التّعبير عن الله وأسمائه وصفاته إلاّ بها، وهذا ملمحها الظّاهر، أمّا الملمح الباطن فمداره أن الحروف عند الصوفية حجاب مغايرة"(خوالدية، أ، 2014، 44).

4- مستويات علم الحروف والأعداد:

لهذا العلم ثلاثة مُستويات: أعلى، وأوسط، وأدنى، كلّ مُستوى يعبرّ عن تسلسل ظهور الأشياء من الثّبوت العلمي إلى العالم الحسي "ففي المستوى الأعلى هو عين معرفة الأشياء كلّها من حيث حقائقها وأعيانها الثّابتة في العلم الإلهي المحيط" (مفتاح، ع، 2016، 33).

وهو ما أشرنا إليه بالأعيان الثابتة التي هي المبدأ المتعالي للأشياء "فَبِالنّظر إلى دلالته العليا هو معرفة كل الأشياء في المبدأ نفسه، من حيث هي ماهيات أزليّة من وراء كل ظهور" (ريني، ج، 2016، 14).

أمّا مستواه الأوسط "هو معرفة تسلسل مراتب الظهور العيني الخلقي عبر دوائر الحكمة والقدرة" (مفتاح، ع،2016، 33). أي: نشأة الكون وظُهور الأشياء، فهي بذلك تُقدّم لنا تفسيرا للوجود في المرتبة الوسطى "وبالنظر إلى دلالته التي يمكن نعتها بالوسطى، علم الحروف هو علم نشأة الكون وتشكيله، أي معرفة إبداع وتكوين العالم الظاهر " (ريني، ج، 2016، 56).

أمّا مُستواه الأدنى "فهو معرفة خواص الأسماء والأعداد في ما هي مُعبرة عن طبائع الذوات، وهي معرفة تُمكّن من التأثير بالخاصية في تلك الذوات والحوادث المتعلقة بها" (مفتاح، ع، 2016، 34). بِمعنى أنّها تُعبّر عن طبيعة الكائنات وهذا ما أشار إليه ريني جينو "وأخيرا بالنظر إلى دلالته الدنيا ومعرفة خواص الأسماء والأعداد من حيث أنّها تعبر عن طبيعة كل كائن، وهي المعرفة الّتي يمكن تطبيقها من التّصرف، بحكم هذا التناسب، بواسطة تأثير من نمط خفي على الكائنات نفسها وعلى الحوادث المتعلقة بها" (ريني، ج، 2016، 56). وهذا ما اعترف به العقلاني ابن خلدون في مُقدّمته عند حديثه عن علم الحروف والأعداد وذكر أنّ هناك ثمّة فرقًا بينها وبين السّحر .

ومعرفة كيفية التّأثير في الأشياء والحوادث هي خارجة عن طور ودائرة العقل، لخفاء ذلك عن الحسّ، إذ لا تخضع لمنطق السّببية المعروفة لدينا وإنّما لقوانين مُتعالية تُدرك بِالكشف كما يقول أهل العرفان.

وهذا المستوى يعرف بعلم الأوفاق وهو "علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد والحروف على التّناسب والتعادل، بِحيث يتعلّق بواسطة هذا التّعديل أرواح مُتصرّفة تُؤثّر في القوابل حسب ما يُراد ويُقصد عن ترتيب الأعداد والحروف، وكيفياتها. وموضوعه الأعداد والحروف، وغايته الوصول إلى المطالب الدّينية، والدّنيوية، والأخروية" (القنوجي، س، 1993، 56).

كما أنّ صناعة هذه الأوفاق وما ينجرّ عنها من تأثيرات، ودلالات عرفانية يستند إلى الكشف، وليس إلى النّظر العقلي والعلاقات الرّياضية المعروفة عندنا، وهذا ما يُوضّحه الوفق المعشر للبوني الذي هو إعجازٌ عدديٌ رياضيٌ، تعجز عنه الآلات الحاسبة المعاصرة.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

/- الوفق المعشّر للبوني:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هذا الشّكل عِبارةٌ عَلى جَدول مُعشّر عَجزت الآلات الحاسبة الحديثة عَلى فَكِّ إعجازه مُستملٌ عَلى 99 اسمًا مِن أَسماء الله الحُسنى وَاسم مُحمّد فِي آخِر بَيتٍ مِنه وَمَجموع كُلّ رواقٍ أُفقيًّا وَعَموديًا هُو 3349 وَهُو نفس مَجموع قُطريْه

اللهُ 66	رَحْمَنٌ 298	رَحِيمٌ 258	مَلِكٌ 90	قُدُّوسٌ 170	سَلاَمٌ 131	مُتَعَالِيٌّ 551	بَارِىءٌ 213	مُصَوّرٌ 336	غَفَّارٌ 1281
وَاحِدٌ 19	مُعِزٌّ 117	مُقِيتٌ 550	حَفِيظٌ 998	قَيُّومٌ 156	مُحْصِيٌّ 148	مَانِعٌ 161	مُغْنِيٌّ 1100	حَلِيمٌ 88	مَجِيدٌ 57
حَيٌّ 18	خَافِضٌ 1481	مُحْيِيٌّ 68	عَلِيمٌ 150	وَاسِعٌ 137	شَّهِيدٌ 39	رَءُوفٌ 286	نَافِعٌ 201	بَاسِطٌ 72	مُتَكَبّرٌ 562
مُقْتَدِرٌ 744	وَدُودٌ 20	ضَارٌ 1001	قَهَّارٌ 306	فَتَّاحٌ 489	بَصِيرٌ 302	مَالِكُ المُلْكِ 212	مُقَدِّمٌ 184	حَسِيبٌ 80	مُبْدِىءٌ 56
هَادِيٌّ 20	أَحَدٌ 13	بَاقِيٌّ 113	جَامِعٌ 114	آخِرٌ 801	بَاعِثٌ 573	مُمِيتٌ 490	ظَاهِرٌ 1106	حَكِيمٌ 78	بَدِيعٌ 86
وَهَّابٌ 14	هُوَ أَوَّلٌ 48	عَظِيمٌ 1020	قَابِضٌ 903	رَقِيبٌ 312	شَكُورٌ 526	رَزَّاقٌ 308	مُعِيدٌ 124	جَلِيلٌ 73	وَكِيلٌ 66
وَارِثٌ 707	وَلِيٌّ 46	حَمِيدٌ 62	كَرِيمٌ 270	مُؤَخِّرٌ 846	كَبِيرٌ 232	قَوِيٌّ 116	صَمَدٌ 134	رَافِعٌ 351	مُنْتَقِمٌ 630
مُذِلٌّ 770	وَالِيٌّ 37	عَدْلٌ 104	صَبُورٌ 298	مُقْسِطٌ 209	مُهَيْمِنٌ 145	رَشِيدٌ 514	بَرٌّ 202	غَنِيٌّ 1060	مُجِيبٌ 55
خَالِقٌ 731	مَاجِدٌ 48	حَقٌّ 108	مُؤْمِنٌ 136	عَزِيزٌ 94	جَبَّارٌ 206	مَتِينٌ 500	بَاطِنٌ 62	ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ 1100	تَوَّابٌ 409
قَادِرٌ 305	غَفُورٌ 1286	عَلِيٌّ 110	لَطِيفٌ 129	سَمِيعٌ 180	خَبِيرٌ 812	نُورٌ 256	حَكَمٌ 68	عَفُوٌّ 156	مُحَمَّدٌ 92

أ 1	ب 2	ج 3	د 4	ه 5	و 6	ز 7	ح 8	ط 9	ي 10	ك 20	ل 30	م 40	ن 50	س 60	ع 70				
ف 80	ص 90	ق 100	ر 200	ش 300	ت 400	ث 500	خ 600	ذ 700	ض 800	ظ 900	غ 1000								

الوفق المعشر لأسماء الله الحسنى للبوني، ص: 103.

ومن أمثلة حساب الجمل الّتي تبرز علاقة الحرف بِعدده قول الشيخ الأكبر "أنّ عدد الأنفاس الرّحمانية في العالَم الإنساني هو النّاتج عن ضرب العدد 330 في العدد 530 فَمِن أين جاءا هذان العددان؟ الجواب: هو أنّ عدد الاسم الرّقمي الرّحمان هو 330 وعدد اللّفظي حيث يُعتبر تضعيف الرّاء هو 530 كما أنّ عدد كلمة النّفس الرّحماني هو 560 وهو مجموع أعداد الأسماء الحسنى الثّلاثة المتوجّهة على إيجاد مراتب الوجود الأولى والأخيرة والمرتبة له (بديع + جامع + رفيع) أي 86+114+360=560" (مفتاح، ع، 2016، 32).

وما يُمكن استخلاصه من العلاقة بين الحرف والعدد الّذي هو حُروفه الرّقمية هي علاقة ما بين ما هو كمّي وما هو كيفي، أو العلاقة بين مرتبين للوجود الحسّي وَالغيبي "حساب الحروف الرّقمية يتعلّق خُصوصًا بِالصّورة والعرض والظّرف، وحساب الحروف اللّفظيّة يتعلّق خُصوصًا بِالرّوح والجوهر والمظروف، والضّرب والجمع بين الحسابين في نفس الكلمة أو نفس الجملة يتعلّق بِعلاقة الرّوح بِصورتها أو المظروف بظرفه" (مفتاح، ع، 2016، 31).

وَما نخلص إليه من الدّراسة المتعمّقة لهذه العلوم ومُستوياتها الثّلاثة الّتي ذكرناها والّتي تتعلّق بمراتب الوجود "أنّ بُنية العالم بنية روحية في حقيقتها وجوهرها، ويُصبح من الطّبيعي أن تتعدد الظواهر المرئية المشاهدة، رغم الرّابطة الرّوحية الجامعة لأشتاتها، وهي الرّابطة الّتي لا يُدركها إلاّ العالمون" (أبو زيد، ن، 2006، 205) وهذا ما نُعبّر عنه بِالعدد والحرف رابطة بين التجلّيات الإلهيّة .

نتائج المقال: من خلال هذه الورقة البحثية خلصنا بِأهمّ النّتائج الآتية :

1-علم السّيمياء من العلوم التّراثية المعبرة والمكتشفة للعالم الروحاني الماورائي.

2- علم السّيمياء أو الحروف والأعداد مظهران: كمي وكيفي للتجلّيات الإلهية.

3- علم السّيمياء يُقدّم لنا تفسيرا للوجود بشقيه الإلهي والكوني.

4- يُمثّل هذا العلم مركزية في العرفان الإسلامي وفي أشكال المعرفة وَفي بَقية الأديان الأخرى.

5-الرّمز هو معرفة مُتعالية تحتاج إلى علم السّيمياء لتفكيك مُفرداته.

6- المعرفة الحدسيّة هي الأسّ المعرفي المفقود في الثّقافة الغربيّة.

مناقشة:

علم السيمياء أو علم الحروف من العلوم التّراثية المعبّرة والمكتشفة للعالم الرّوحاني الماورائي والمبادئ الّتي تحكم العالم بشقيه المحسوس والغيبي، والّذي يرتبط بما هو كيفي وكمي والّتي هي في حقيقتها تجلّيات إلاهيّة المعبّر عنها بِالأسماء النّابعة عن الذّات الإلهيّة.

كما أنّ هذا العلم يُقدّم لنا تفسيرا شاملاً للوجود بِشتّى مراتبه ومظاهره الحقّية والخلقية. وهو يُمثّل مركزية في العرفان الإسلامي، وكل عرفان في بقية الأديان لأنّ صور التعبير تختلف، لكن

الحقيقة والمبدأ ثابت ومُتعال عن كلّ معرفة حسّية أو عقليّة. وهذا يحتاج إلى تفكيك مُفرداته وهو ما تفتقده الثّقافة الحديثة المقطوعة عن أُصولها الميتافيزيقية ليس بِالمعنى الحصري للكلمة، أيْ: إعادة الاعتبار للمعرفة الحدسية الّتي تقوم على أسّ الرّمز الصّوفي .وهذا بِسبب الخصومة الّتي أقامها الفكر الأوروبي بين الدّين والعلم التّجريبي ممّا أَسّس للنّزعة العلموية الّتي تحصر مجال المعرفة وتعمل على تأليه العقل المفكّر.

فأضحى الحديث عن الميتافيزيقا ضربٌ من الخرافة، لذلك نرى ضرورة ربط العلوم بِأصولها الإلهية، وهذا لتحقيق التوازن الذي هو من السّمات الّتي تفتقدها الحضارة الحديثة بِغضّ النّظر عن تطبيقات العلوم التي لها ثمارها الإيجابية .

خاتمة:

الإهتمام بِالعلوم التّراثية كعلم الحروف والأعداد، مع التّأهيل الرّوحي لها أضحت ضرورة رُوحيّة، وفكريّة، وحضاريّة. وهذا لانتشال الإنسان المعاصر من عالَمٍ صَنَعه وأَحسّ بِالغربة داخله بل بِالضّياع وعدم التّوازن، وهذا بِسبب غياب المبادئ العليا والمرجعيات الميتافيزيقية والرّوحيّة الّتي تُعبّر عنها العلوم التّراثية عبْر شتّى الدّورات الحضارية والدينية، لأنّ نتائج البحث المعاصرة مُتغيّرة وهذا ما يُفسّر لنا الكم الهائل مِن النظريات العلميّة والتّصورات الفلسفيّة للحقيقة، والوجود الإنساني، والألوهيّة، وغيرها من الإشكاليات الّتي طُرحت مُنذ فجر التّفكير الإنساني.

****

المصادر والمراجع:

1. ابن عربي محيي الدين، (2004)، **عقلة المستوفز لابن عربي**، تحقيق ابراهيم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 01.
2. ابن عربي، محي الدين، (1994)، **الفتوحات المكية**، تقديم محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر .
3. ابن عربي، محي الدين، (2004)، **الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من النوار**، شرح عبد الكريم بن براهيم الجيلي، بيروت، دار الكتب العلمية.
4. أبو زيد، نصر حامد، (2006)، **هكذا تكلم ابن عربي**، الدار البيضاء، المغرب، ط03.
5. بن بريكة، محمد، (2006)، **التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان**، الجزائر، دار المتون.
6. الجيلي، عبد الكريم، (1999)، **مراتب الوجود**، مصر، مكتبة القاهرة، ط 01.
7. الحكيم، سعاد، (1981)، **المعجم الصوفي**، بيروت، دار ندوة الطباعة والنشر، ط1.
8. حنا، الفاخوري، والجر، خليل، (1993)، **تاريخ الفلسفة العربية**، بيروت، دار الجيل .

9. خوالديه، أسماء، (2014)، **الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة والإغراب قصدا**، الرباط، دار الأمان
10. ريني، جينو، (2013)، **رموز العلم المقدس، مقال الكلمة الإلهية والرمز**، ترجمة عبد الباقي مفتاح، الأردن، عالم الكتب الحديثة.
11. ريني، جينو، (2016)، **رموز العلم المقدس، مقال الكلمة الإلهية والرمز**، ترجمة عبد الباقي مفتاح، الأردن، عالم الكتب الحديثة.
12. مفتاح، عبد الباقي، (2016)، **الكمالات المحمدية والإنسان الكامل في رؤية ابن العربي**، الأردن، عالم الكتب الحديثة .
13. مفتاح، عبد الباقي، (2016)، **حقائق القرآن عند محي الدين ابن العربي**، الأردن، عالم الكتب الحديثة.
14. مفتاح، عبد الباقي، (2016)، **حل المقفلات من فصوص الحكم**، الأردن، عالم الكتب الحديثة.
15. مفتاح، عبد الباقي، (2016)، **شروح ومفاتيح لمفاهيم الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي**، الأردن، عالم الكتب الحديثة.
16. مفتاح، عبد الباقي، (2018)، **الحقائق الوجودية الكبرى**، الأردن، عالم الكتب الحديثة.